

التعليم

كان قدماء المصريين يهتمون بالتعليم لما يناله المتعلم من سمو المكانة والشرف ، ويتجلى لنا ذلك من الموعظة التي قالها الحكيم « ذا إف » لابنه عند ما كان مسافرا معه في النيل ليدخله المدرسة " أعط قلبك للتعليم ، وأحبه كأملك ، لأنه لا يوجد شيء ثمين كالعلم ، فالمتعلم يفوق الجاهل ، وكل من يتبع التعليم يصبح كاتباً ، ويضع قدمه على سلم الحياة ويؤهله للخدمة في الحكومة ، وتكون تحت سلطته جميع المكاتب الأميرية ، ويعفى من الأشتغال البدنية الشاقة التي يتعذب بها الجاهل الذي لا يعرف كتابة اسمه فهو كمثّل الحمار المثلث بالأحمال يقوده الكاتب ، أما الرجل السعيد فهو الذي يقف قلبه على العلم فيجعله أميراً عاقلاً . اترك الصناعة والعمل وكن كاتباً لأنك ستصير زعيماً للرجال ، فوظيفة الكاتب عمل أميرى وأدوات الكتابة تجلب له السعادة والفنى ، فالكاتب سوف لا يحتاج الى الغذاء وكل ما يطلبه يعطى له من المخازن الملكية ، المتعلم يأكل كثيرا من أجل علمه ، ويصبح عضواً في مجلس

الثلاثين . واذا دعت الضرورة الى ارسال سفير فهو الذى يندب لهذا العمل . فعلى العاقل أن يستمر فى التعليم وأن يتضرع للآله « تحوتى » (مخترع الكتابة وكاتب الآلهة) بالدعاء الآتى : تعال الى وقدنى الى مكتبك أجل المكاتب جميعها ، فانا خادم عندك ، دع الدنيا تتكلم بقوتك ، دعنى أدخل مكتبك حتى أتعلم وأصير كاتباً . فان تحوتى بعد هذا الدعاء لن ينسى زميله الذى على الارض والذى دعاه فيساعده ويمده بالفطنة والذكاء .

وفى الدولة القديمة كان الطفل الذى يراد اعداده للخدمة الحكومية يرسل صغيراً الى بيت التعليم الملحق بالبلاط الملكى فيتلقى العلم مع أبناء الأمراء والنبلاء مهما كانت طبقتهم وكانت هذه المدرسة تسمى « مدرسة الكتبة »



وفي الدولة الحديثة كان هناك بعض مدارس للتخصص
تلتحق بمصالح الحكومة المختلفة لتدريب الطلبة على العمل الخاص
بها فمثلا «بيت الفضة» فان الطلبة الذين يتخرجون منه لا يصلحون
الا للعمل به . وربما كان من السهل على التلميذ ان يقوم بعمل غير
الذي تخصص له ، نعرف ذلك مما كتبه لنا « بك إن خونس »
رئيس كهنة معبد آمون (إله مدينة الاقصر) من أنه اشتغل في
عمل حكومي ثم الحق بعد ذلك في سلك الكهنة في معبد آمون
ثم اشتغل كتلميذ حربي في مدرسة خاصة كانت تدرب الطلبة
ليكونوا ضباطا بالجيش

وكانوا يعهدون في بعض الأحيان الى معلم خاص لتعليم طفل
واحد ولدينا خطاب من تلميذ الى معلمه يقول له فيه : لقد
كنت معك حينما كنت طفلا ، وكنت تضربني على ظهري فيصل
تعليمك إلى أذني “ وكان التلميذ بعد أن يتخرج يستمر تحت
إشراف مدرسه في ابتداء تمرينه العملي

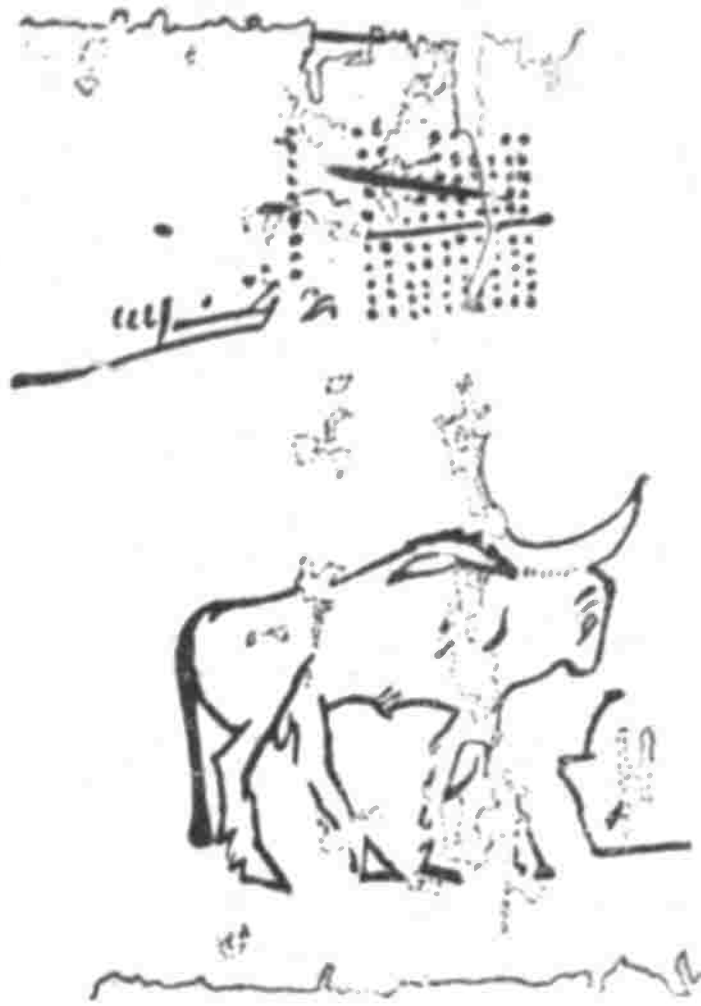
ومن حسن الحظ أننا تمكننا من معرفة طريقة التعليم
والنظام المدرسي . فمن ذلك أنه عند ما يتم الطلبة فهم أسرار فن

الكتابة يبدأون بتعليمهم طرق النسخ والكتابة حتى يحسنوا خطوط أيديهم ويكتسبوا مرانا على الاملاء ويجيدوا الهجاء . فيختار لهم المدرس (وهو عادة من الكهنة) نصا أيا كان دون أى اعتبار لمحتوياته مثل قصة خيالية أو دينية أو مقطوعة شعرية أو قصيدة شعرية ، والأخيرة كانت مفضلة دائما اذا كانت لغتها تؤثر في التاميز (وأغاب القصائد الشعرية من عهد الدولة الحديثة)

وكانت تلى عليهم أيضا قطع تحمهم على الحزم والعقل والأفعال الحسنة والأخلاق الكريمة . وأحيانا كانت تدرس لهم صور خطابات لبعض العقلاء لتقوية الملكة الانشائية عندهم أو صورة خطاب مرسل من المعلم لتلميذه يعلمه فيه الحكمة والرأى السديد . وكانت عادة المدرس في تحضير الدروس أن يجمعها كلمة كلمة ، مما فاه به العطاء والعقلاء من الحكم أو من خطابات مشاهير الرجال ولم يكن من الضروري أن يحضرها بنفسه ، ومع ذلك فإن خطابات هؤلاء الحكماء كانت تمهر بامضاء الطلبة كأنها رسالة حقيقية صادرة عنهم .

وأدوات الكتابة التي كانت مستعملة عندهم هي الأقلام
 الغاب وأقراص المداد توضع في لوحة خاصة تسمى لوحة الكتاب
 (تشبه المقلمة والمخبرة التي يحملها الصيارف اليوم) واستعملوا
 ورق البردى على هيئة صفحات قصيرة للكتابة تحتوى على عدد
 من السطور الطويلة وعلى هذه الأوراق يكتب الطلبة دروسهم
 ويصحح لهم المدرس خطأهم ، ويرشدكم في نفس الوقت الى
 طريقة تحسين الخطوط وفي بعض الاحيان كان المدرس يكتب
 لهم الكلمات على شكل نقط يخط عليها الطالب بيده

وكان الطلبة يدونون في أعلى الجهة اليمنى من الورقة تاريخ
 اليوم . فقد وجدت ورقة مكتوب عليها يوم ٢٣ أيب وبعدها
 بثلاث ورقات ٢٤ أيب وبعدها بثلاث ورقات يوم ٢٥ أيب
 وهكذا . ومن ذلك نعلم أن الدرس الواحد اليومى كان يشغل ثلاث
 صفحات متتالية وكانت العادة عندهم أن يكتبوا على وجه واحد
 من الورق . ومن المتبع أن يمرن الطلبة عمليا بمصالح الحكومة
 أثناء مدة الدراسة فترى في الوجه الأبيض لكراساتهم أنهم
 كانوا يستعملونه كذاكرات لأعمالهم التي يقومون بها فنشاهد



١٧ - من مسودات إحدى الكراسات
فوق : عملية حسابية
تحت : رسم ثور

(عن إرمات)

بعض كلمات دونت بسرعة أو صوراً لثيران أو أسود أو بعض
نقط وأنواعاً مختلفة من الكتابات ، وعدد الزكائب الواردة
للمخازن وصوراً للصكوك والوثائق الرسمية وكل ما كانوا يتمرنون
عليه عملياً بتلك المصالح

وكانوا كذلك يتعلمون الرسم والحساب وعلم النجوم والهندسة
والمعالجة بالطب وبالتعاويد السحرية وتجهيز الأدوية والكتب
المقدسة وشعائر الدين ، وبعد اتمام الدراسة الابتدائية يتخصص كل
تلميذ للمهنة التي يعد نفسه لها . وربما كان هذا خاصاً بالطبقة
العليا ، أما الطبقة الوسطى فإن التلميذ فيها يكتفى بالدراسة
الابتدائية

وقد قدسوا الغهم واحترموها وأطلقوا عليها "الكلام المقدس"
لأن الآلهة تحوت إله العلم مخترعها هو الذي علمها لسكان وادي النيل
وكان للمرأة نصيب وافر من التعليم عند قدماء المصريين
لما لها من المنزلة السامية عندهم فكانت تتعلم القراءة والكتابة
ومبادئ الحساب إذ أنها كانت تشترك مع الرجل في شؤون
الحياة وكانت تشغل بعض المناصب العليا وتتولى الملك

وأما النظام المدرسى فكان قاسيا لا يبيح للتلاميذ أن يتكاسل أو يتكلم مع غيره أو ينام أثناء القاء الدروس ، وكان يحتم على التلاميذ أن تكون كتبهم نظيفة وحاضرة فى الأيدى ، وأن تكون ملابسهم ونعالهم بهيئة لائقة . وكانت مدة الدرس نصف يوم تام دون أن تتخلله راحة " وكان يجب على التلاميذ أن يحتملوا مثل الجبال " وعندما ينتصف النهار يخرج الطلبة من الفصول مهالين فرحين للغذاء واللعب

وأما غذاؤهم فكان فى العادة مقصورا على ثلاثة أرغفة من الخبز وابريقين من الجمعة (البوظة) تحضرها الأم يوميا أو أحد الخدم للتلاميذ من المنزل

وكان الطلبة يعاقبون بالحبس وبالجلد والضرب على ظهورهم ، وقد كتب تلميذ لمعلمه السابق الذى طالما عذبه بالعقاب البدنى قائلا له : " لقد كنت تضربنى حينما كنت من تلاميذك ، وكنت أمضى وقى فى حجرة السجن وأنا مقيد ، وحكمت على بالحبس ثلاثة أشهر ، قيدت فيها فى المعبد . " وقد برر قدماء المصريين

العقوبات البدنية بأن الانسان في قدرته أن يذلل الأسود
والخيل والحيوانات المتوحشة المختلفة بالضرب بالسوط فلم لا يذلل
التلميذ الذى سيصير كاتباً؟

وكانوا ينهون التلاميذ عن الكسل ويلقنونهم هذه النصائح:—
”أيها الكاتب . لا تكن بليداً ، ولا تضع وقتك في اللعب والا
سأت نهايتك ، دع فك يقرأ الكتب التى تحملها دائماً ، احفظ
نصائح من يعرفون أكثر منك ، جهز نفسك للعمل الأميرى ،
ما أسعد الكاتب المجتهد في أعماله ، كن نشيطاً قوياً في عمالك اليومى ،
لا تضع يوماً في اللهو والكسل ، والا جلدت على ظهرك لان
آذان الطفل موضوعة على ظهره فهو يسمع حينما يجلد ، دع
قلبك يصفى لهذه النصائح فانها ستجلب لك السعادة ، يجب أن
تستشير من هو أكبر منك ، ويجب أن أكرر لك طلب
الاصغاء لما قلت“

وكانت المدارس المصرية القديمة تلتحق عادة بالمعابد كما تلتحق
الكتاتيب اليوم بالمساجد في القرى ، وكان يجلس الطلبة على

الأرض كما يجلس أولاد الكتاتيب اليوم، أما المدرس فكان يجلس
على منصة عالية كي يشرف على جميع تلاميذه
وأما غاية التعليم فكانت الوظيفة كما هي اليوم؟

الملِكُ وَحَاشِيَتُهُ

يرجع نظام الملكية وعظمتها عند قدماء المصريين الى ما قبل التاريخ وعند ما كانت مصر مقسمة من أيام الدولة القديمة الى قسمين "مصر العليا" ومصر السفلى "وكان يطلق عليهما اسم "الأرضين" ويسمى الملك من أجل ذلك "سيد الأرضين" وكانت له ألقاب عديدة أهمها : حوريس (أى الصقر رمز الشمس) ، نبتى (سيد تاج الإلهتين العقاب والحية) ، وحوريس الذهبى ، ملك مصر العليا ومصر السفلى ، ثم اسم الملك بعد اعتلائه العرش داخل مستطيل بيضى (يشبه خرطوشة البندقية) ثم لقب ابن الشمس يليه اسم الملك قبل توليه الملك داخل خرطوش ايضا . فمثلا يلقب الملك رعمسيس الثانى كالآتى :

"صاحب الجلالة حوريس ، الثور القوى ، المحبوب من إلهة العدل ، سيد تاج العقاب والحية (الإلهتين) ، حامى بلاد مصر ، قاهر البلاد الأجنبية ، حوريس الذهبى العائش أبديا ، العظيم فى انتصاراته ،

ملك مصر العليا والسفلى (أوسر ماعت رع ستب إن رع)
 ابن الشمس (رع ميس مرأمون) يعطى الحياة أبديا يضىء على
 الناس من فوق عرشه مثل رع (إله الشمس) فى السماء
 وأعطيت كل هذه الألقاب بما تحويها من الأسماء الإلهية
 للملك لا اعتقادهم بأنه هو الممثل للإله على الأرض حتى أنهم كانوا
 يطلقون عليه اسم "الإله الكبير" ولذا كان الملك يعتبر من نسل الآلهة
 وكان الملك مميزا فى ردائه عن أفراد الشعب الذين كانوا
 يشدون نطاقا بسيطا حول وسطهم

فى الدولة القديمة كان الملك يرتدى نطاقا وعلى هذا النطاق من
 الأمام قطعة من الجلد أو الفرو ويربط به من الخلف ذيل أسد
 (ونرى فى نقوش محاجر شبه جزيرة سيناء الملك سحورع
 مرتديا هذا النوع من اللباس) وأحيانا كان يضاف إليه قطعة من
 النحاس تلف حول الوسط مفتوحة من الأمام وتظهر تحتها القطعة
 الأمامية من النطاق وقد تكون محلاة بالذهب أحيانا

وكان الملك يحلق شعر رأسه ولحيته أسوة بأفراد الشعب
 ويضع بدلها شعرا مستعارا وكان يغطى رأسه بغطاء خاص يعلوه

الصل رمز الملك ويعتقدون أنه يحمي الملك من جميع أعدائه . أما في الأعياد والحفلات فكان الملك يلبس تاج الوجه القبلي الأبيض وتاج الوجه البحري الأحمر وفي بعض الأحيان كان يلبس التاج المزدوج وكان يمسك بيديه صولجانين

وكان الملك يظهر أحيانا في رداء الآلهة فيلبس نطاقه سالف الذكر على قميص نسائي ضيق إذ كانوا يعتقدون أن الآلهة ترتدى هذا النوع من الملابس ، وكان يضع على رأسه تاجا مقدسا مكونا من قرون أو ريش ممسكا بيده صولجانا مقدسا وفي الدولة الحديثة فضل الملوك ارتداء ملابس رعاياهم إلا في الأعياد فكانوا يلبسون القميص النسائي الضيق ويتمنطقون بالنطاق ويضعون على رؤوسهم الخوذة الحربية

وكان الموظفين الذين يقومون بتزيين الملك مراکز هامة فمنهم من كان يسمى "ملاحظ ملابس الملك" و "صانع ملابس الملك" و "المكلف بحمام الملك" و "حامل نعل الملك" و "صانع الشعر المستعار" وكان هناك ملاحظ وكاتب ورئيس صنّاع المعادن ، ورئيس

للحلى الملكية ، وكان للموظف الذى يضع التاج على رأس الملك
مركز هام فى البلاط ويطلق عليه لقب "المستشار السرى للتاجين"
وأما العرش الذى كان يجلس عليه الملك فكان عبارة عن
عرش مستقوف مرفوع على أعمدة خشبية جميلة وعلى أرضيته
قطعة من البساط وعليها موطىء للأقدام وكلها كانت ملونة
بالألوان الزاهية

ويتضح من النقوش أن العرش كان يزين بعدد من الأضلال
وكان يحمله الآسيويون والزنوج ويكتب تحت قدمى الملك أسماء
الأعداء الذين قهرهم

وكان الملك يظهر أمام شعبه "كما يظهر عليهم إله الشمس"
لترى الناس طلعتة فكان إذا ما خرج أحيط بالفخامة والعظمة
وتبعا للتقاليد القديمة كان يجلس فى محفة مرتديا ملابسها ويحملها
ثمانية ممتازون من رجال البلاط على مناكبهم ويحيط به من
الأمام والخلف حاملو المراوح ، وباقات الأزهار حتى إذا روجوا
امتزج الهواء برائحتهما فيستنشق الملك الهواء معطرا بشذاها. وأما
الموظف الكبير الذى كان يرافق الملك "كحامل مروحته" فكان



١٨ — فرعون محمولا على المناكب
(عن وليمكنسون)

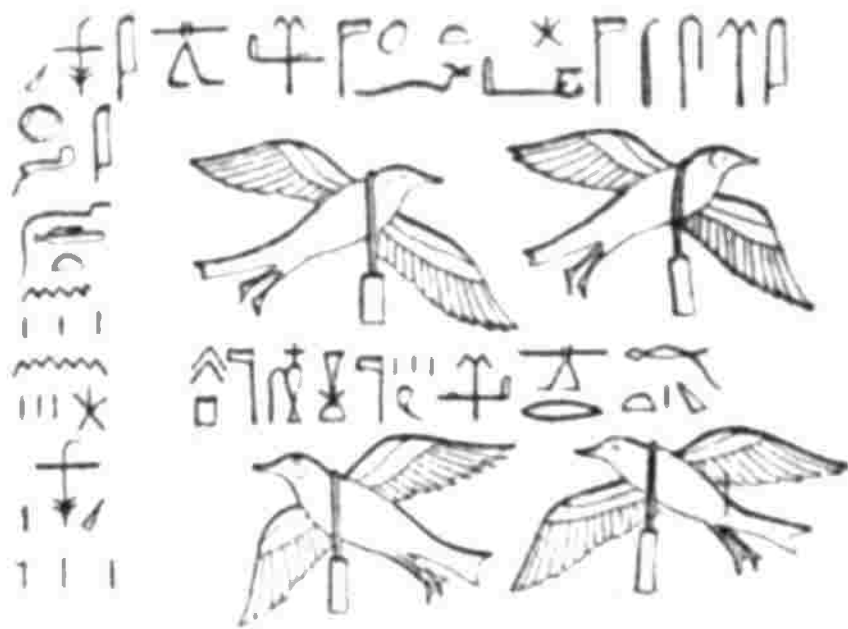
يسير الى اليمين حاملا في يده مروحة صغيرة جميلة . ويشاهد في
نقوش بتل العمارة منظر يمثل خروج الملك آخنتاتون لزيارة
معبد آتون (قرص الشمس) في موكب غاية في الأبهة والعظمة
فدري اثنين من الرجال يجريان لإخلاء الطريق للعربة الملكية

التي تجرى وراءها يجرها جوادان مزينان وعلى جانبي العربية
فرقة من الجنود المشاة وخلف العربية الملكية عربية الملكة تليها
عربة الأميرات وخلفها ست عربات تحمل سيدات البلاط وست
عربات أخرى تحمل رجال البلاط

أما في حفلات التتويج فترى الملك يقدم قرايين من المشية
توقيرا للآله "مين" (MIN) إله الحصاد والخصوبة ليظهر الملك
للشعب أنه بدأ حكمه على هذه البلاد الزراعية بالتضحية لآله
الحقول حتى يبارك الزراعة

فترى الملك يترك القصر محمولا على مناكب "أبنائه" إلى معبد
الآله "مين" ويسير أمامه كهنان يحرقان البخور وثالث يرتل
تلاوات خاصة قبل خروج الملك ، ثم يتقدم الملك وبعض أعضاء
الأسرة المالكة ويتبعه من الخلف البعض الآخر وأمام الجميع
حملة الأبواق تحيط بهم الجنود . فإذا ما اقترب الملك من المعبد
نرى عشرين كاهنا يحملون تمثال الآله "مين" ويضعونه على باب
المعبد لاستقبال الملك وعند وصوله يرفعون الغطاء عن
التمثال بينما يروح آخرون عليه بالمرأوح . ثم يمر ثور أبيض (هو

رمز لهذا الإله (أمام الشمال يتبعه عدد من الكهنة حاملين
شارات الملك وبالأخص الشارات المقدسة فيتقدم كاهن ويتلو
تلاوة خاصة تطير بعدها أربعة من الطيور حاملة في رقابها خطابات



١٩ - أربعة من الطيور حاملة إلى السماء نبأ تتويج الملك
(عن ليسيوس)

نحمل الى أنحاء السماء الأخبار بأن "حوريس" (أى الملك) توج
وأعطى له التاج الأبيض والأحمر "ثم يقدم كاهن الى الملك
محشة ذهبية يقطع بها سنبله من سنابل القمح ويبذرهما في
الهواء أمام الثور الأبيض ويمثل الملك بذلك الرخاء في عهده

القـادم ثم يقدم الملك البخور لتمثال الإله وبعد ذلك يتقبل
التهنئـة من رجال بلاطه ومن كان غائباً يرسل تهنئـة
بالخطابات

وكان الملك يتبع نظاماً خاصاً في حياته اليومية فكان ينهض
في الصباح ويطلع على الخطابات الواردة إليه ويرد عليها ثم يغتسل
ويرتدى ملابسه ويشترك في تقديم القرابين في المعابد حيث يتضرع
الكهنة والشعب للإله لكي يبارك الملك . ولا يترك الملك المعبد إلا
بعد أن تلقى على مسامحة أعمال وحكم الرجال المشهورين ثم يعود إلى
القصر ويقضى بقية اليوم بين النظر في مصالح الشعب والرياضة .
وكان غذاؤه من اللحوم لحم الأوز والبقر ، وكان النبـذ الشراب
المفضل على مائدته

وكان الملك يدير دفعة الأحكام ويقود الجيوش بنفسه في
الغزوات كما كان يؤدي واجباته نحو الآلهة لاستجلاب الخير
للبلاد ، وأما إيوانه فكان وسط دواوين الحكومة حيث يقدم
كبار الموظفين حساباتهم وتقاريرهم إلى جلالته ليبدى رأيه فيها
ويقرها . وإذا قبض على اصوص وثبتت إدانتهم ترفع له نتيجة

التحقيق فيوقع عليهم العقاب وكان يقوم برحلات في بلاده ليتفقد بنفسه شؤون الرعية وكان يزور المناجم بالصحراء ، وقد ينيب عنه وكيلا اذا مازادت لديه مشاغل الحكم . وكان يحيط بالمالك عدد من الموظفين يرأسهم المحافظ وبعض المستشارين وكان المالك في الأسرة الثانية عشرة يشرك ابنه معه في الحكم وأما القصر الملكي (أو البيت الكبير كما كانوا يسمونه) فكان ينقسم الى قسمين خارجي وداخلي ، فالقسم الخارجي كان خاصا يجلس المالك مع كبار الموظفين والقضاة والكتبة ، وأما القسم الداخلي فكان خاصا بسكنى الملك وكان الذي يشرف عليه يسمى " كبير الأمناء " وكان المالك قصور عدة في بلاد مختلفة يلحق بكل منها معبد خاص

وكان شرف المشول بحضرة المالك لا يسمح به لأى شخص الا بعد ترتيب رجال البلاط . ففي الدولة القديمة كان يسمح لكبار رجال الدولة بتقبيل قدمه وأما في الدولة الحديثة فكان يسمح لكبار الموظفين بتقبيل الأرض تحت قدميه أو تقبيل اليد كما اتضح ذلك من آثار للملك آخناتون عثر عليها بأسبوط سنة ١٩٣٠ (ويمكن مشاهدة ذلك بالقاعة رقم ٦ الخزانة الزجاجية حرف D

بين آثار الملك آخنتون بالطبقة السفلى في المتحف المصرى)
 وأما الأمراء فكانوا ينحنون احتراماً . وإذا دعا الملك مستشاريه
 لرأى ما فاتهم بدخلون عليه رافعين أيديهم بالدعاء . وإذا خرج
 الملك لزيارة المعابد قابله الكهنة وأسراتهم بالانحناء وبتقديم باقات
 الأزهار دون أن يخاطبوه

وأما الألقاب التى ينعم بها الملك على كبار الدولة فكان أهمها
 فى الدولة القديمة لقب " الصديق " و " الصديق الاوحد " .
 وكانت هذه الألقاب تمنح على سبيل الترقية فمن
 الأسرة السادسة مثلاً كان " ملاحظ مدينة الموتى الملكية " .
 حازراً للقب " الصديق " ولما رقى الى وظيفة " رئيس الجنوب " منح
 لقب " الصديق الاوحد " وكانت هذه الألقاب تمنح لأكابر
 الناس حسب رغبة الملك وكانت أيضاً تمنح للأمراء وكبار
 الضباط فى القصر ، وأما أبناء الملك فكان يطلق عليهم " أقرب
 أصدقاء والدهم "

وفى الدولة الحديثة كان يحمل لقب حامل المروحة على
 يمين الملك " الأمراء والقضاة ورؤساء الجيش وبعض أفراد من

عظماء الشعب وكانوا يميزون بحمل مروحة وفأس صغيرة وكانت المروحة تمنح للأميرات والنساء المقربات من الماكة وكل من يحمل هذه المروحة يطلق عليه أيضا لقب "الصدیق الأقرب"

وكان للملك زوجة واحدة شرعية هي الملكة، ويجب أن تكون من نسل ملكي، أو من نسل نبيل، أو تكون شقيقة الملك، وكانت لها عدة ألقاب سامية ويظهر أنها كانت تقوم بخدمته إذ نرى في النقوش الملك توت عنخ آمون جالسا على عرشه محاطا بالأزهار والماكة واقفة أمامه تصب له النبيذ وفي نقوش أخرى نراها تساعد في الصيد وتقدم له السهام. وكان للملك أيضا المحظيات من المصريات والأجنبيات يسكنهن في عزلة تحت ملاحظة سيدة كبيرة، ويعنى بهن ويقوم بإدارة المنزل الذي يسكنه "مخافظ ووكيل وكاتب الحريم الملكي" وعدد من الحراس حتى لا يستطيع واحدة منهن الاتصال بالخارج. ولا نعرف الا قليلا عن حياة هؤلاء النسوة فانهن كن يقمن بالتسلية الموسيقية للملك. وفي نقوش معبد مدينة هابو بالأقصر نرى الملك رمسيس الثالث مع هؤلاء السيدات وهن لابسات نعالا وعقودا وحليا



٢٠ — الملك رعمسيس الثانى يلعب الضامة مع احدى سيدات قصره بينما تمد له يدها اليسرى بالزهور (عن ويلكينسون)

ويلعبن مع الملك الضامة ويقدمن له الأزهار ويأكلن معه الفاكهة وطبعى أن كثرة النساء تسبب كثرة الولد فإننا نعلم أن الملك رعمسيس الثانى أعقب مائتى ولد نعرف منهم أحد عشر ومائة ذكر وتسعة وخمسين بنتا وكان اذا ولد طفل يعهد بتربيته الى مرب خاص من كبار رجال البلاط . ومن العادات الحسنة فى الدولة القديمة أن الملك كان يسمح لبعض أطفال الأمة بتلقى

العلم مع أبناءه في القصر الملكي حتى أننا نعرف أن المدعو
 "بتاح شبس" تعلم مع أبناء الملك "منكورع" وكان
 مفضلاً ومحبوباً من الملك ، فلما توفي هذا الملك وتولى بعده الملك
 "شبسكاف" احتفظ به حتى كبر وزوجه من إحدى الأميرات

الملكة حتشبسوت أشهر امرأة أنجبها الشرق

ثلاثة من بين الملوك الذين أقاموا الأسرة الثامنة عشرة المصرية فاقت شهرتهم كل شهرة وهم دون شك "تحوتمس الثالث" و"الملكة حتشبسوت" و"أمنحتب الرابع" (آخناتون). فتحتوتمس الثالث كانت له شجاعة في الحروب تذيب أمامها كل شجاعة، يديه اشتغل آخناتون بالأموال الدينية والفلسفية ونشر عقيدته الدينية في التوحيد وعبادة قرص الشمس آتون

وربما كانت الملكة حتشبسوت تعد أعظم امرأة أنجبها الشرق إذ كان لها من شخصيتها البارزة وأعمالها السامية الجليلة ما رفعها إلى هذا التقدير الكبير في التاريخ فدلّت بذلك على أن المرأة تستطيع أن تبز الرجل في حياته السياسية بل ربما فاقتة في كثير من الأمور

وقد تزوج والدها "تحوتمس الأول" من زوجتين أحدهما وارثة شرعية للعرش تسمى "أحمس" والأخرى تسمى "موت نفرت" ولكنها ليست من الدم الملكي، فمن الأولى أعقب

طفلة هي "حتشبسوت" ومن الثانية أعقب طفلاً هو تحوتمس الثاني "وكانت حتشبسوت هي الكبرى والوارثة للعرش ، وقد وهن والدها "تحوتمس الأول" وساءت حالته الصحية في نهاية حكمه وكان عمر حتشبسوت إذ ذاك أربعة وعشرين عاماً فاشركها معه في الحكم ونادى بها وارثة وحيدة من بعده وقد توجهها فعلاً على عرش مصر أثناء حياته وهذا يعادل تماماً تنازله عن منصبه . ولم نسمع بسابقة كهذه حتى هذا التاريخ ، فانه لم يعتل عرش الفراعنة امرأة ، اللهم الا الملكة نيتوكريس الخيالية التي فرض أنها حكمت في نهاية الأسرة السادسة ويعتبر عهدها عهد ظلمة وارتباك وقد كان جلوس امرأة على العرش من الأمور الغريبة حتى أن النقوش التي عملت أثناء حكم حتشبسوت تصفها بأنها كانت تقوم بشؤون الحكم وهي في ملابس الرجال التي كان يلبسها فرعون (ويمكن مشاهدة ذلك في تماثيلها الموجود بالمتحف المصري) وأظهرتها هذه النقوش في شكل رجل . ولولا علامات التأنيث والضمائر التي وردت في النصوص التي خلفها هذه الملكة لما شك احد في أنه أمام امرأة ترتدى ملابس الرجال ، وبالرغم من استعمال

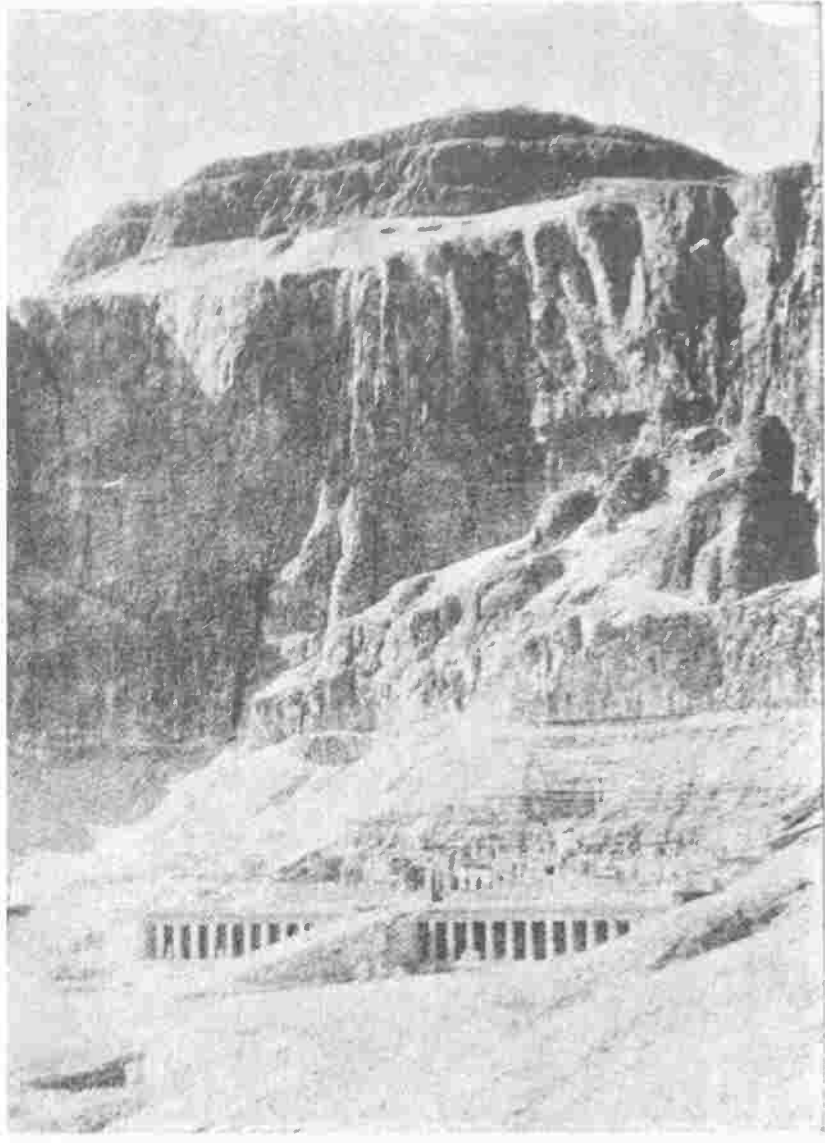
علامات التأنيث والضمائر المؤنثة فانهم لم يحاولوا ابتكار كلمة مؤنثة للقب الفرعوني "نسوت بيتى" أى كلمة ملك مصر العليا والسفلى وتوجد نقوش فى الدير البحرى (أى المعبد الذى بنته حتشبسوت) فى الاقصر على شكل قصصى أكثر منه تاريخى وفيها ما يأتى : " الأميرة نمت أكبر من كل شئ - جميلة جدا - جلاتها كبرت لتكون سيدة جميلة - ناعمة فى صباها " ويتضح لنا أنها اصطحبت والدها فى بعض سياحات الى الوجه البحرى وأن الآلهة والآلهات قابلوها وأظهروا لها الطريق الصالح ووهبوا لها الحياة والحظ السعيد الذى ارتضوه لجلالاتها، وخصوصها بتحياتهم وقالوا لها مرحبا مرحبا بآبنة آمون (إله مدينة الاقصر) لك الحكم فى الأرض انك تنعمين بها ، وتردى لها ما تاف منها ، لقد أقمت تماثيلك فى معابدنا . وبعد أن تحصى الآلهة أعمالها يعدونها بأن يمدوها بالسعادة والعمر الطويل مؤكدين لها فى نفس الوقت أن حدود الأرض التى سوف تحكمها ستتسع كالسما و سيتمتد الى حدود الأفق وفى أثناء رحلتها الى الشمال زارت هايوبوليس المركز الدينى السياسى لاصر وكان إله هذه المدينة يسمى إله الشمس (رع) الذى

يعتبر الحاكم الأول للبلاد ويمثله فرعون في الأرض ويظهر أن كل فرعون رغب أن يثبت حكمه بصفة شرعية . فكان عليه ان يمج الى معبد رع بهليوبوليس حتى يؤكد أنه من نسل الإله



٢٢- رع (الشمس) إله مدينة هليوبوليس

ويعترف الشعب به ملكا شرعيا ولهذا أظهرت الملكة حتشبسوت للناس أنها حصلت على الاعتراف بين يدي إله الشمس (رع) في هليوبوليس ، وذلك بأن نقشت على أحد أعمدة الدير البحري مجموعة نقوش (شوهدت مع الأسف الشديد) وهي تصور زيارة الملكة لهليوبوليس يقودها أربعة آلهة الى حضرة إله الشمس رع الذي يحييها ويمنحها السنين الطويلة ويبشرها بأنها ستقود



٣١ - معبد الدير البحري الذي بنته حتشبسوت بالجهة الغربية بالاقصر
(لآمون إله الاقصر)

الأراضي المصرية ، وتفرض الجزية على البلاد الأجنبية وتعيش
الى الأبد

ثم يؤتى بتاجي الوجه القبلي والبحري ويقوم بوضعها على
رأسها الإلهان حوريس وست اللذان يمثلان الوجهين البحري
والقبلي . وفي أثناء هذا الاحتفال ينادى بالأسماء الملكية حيث
يدونها تحوتى (إله العلم) وسشات (إلهة الحكمة) فى كتبها ،
ثم نرى الملكة مرتدية الحلة الملكية وحاملة شارات الملك ومتقلدة
شارة المنصب وبعد ذلك تقدم القرايين لآمون إله مدينة الأقصر
الذى يعدها بكل السعادة والغذاء الذى فى هذه الأرض ويهبها
كل أراضي مصر والبلاد الأجنبية وكل ما تشرق عليه الشمس
ليكون تحت حكمها مدة حياتها “

وفى نقوش أخرى بالدير البحرى كتابات تاريخية بحثة تصف
تحوتمس الأول وهو يقوم بتقديم الملكة حتشبسوت لعظماء
المملكة فترى الملك الكبير جالسا على عرش مستقوف مرتفع عن
الأرض واضعا يده على ابنته وهى تنظر الى الاجتماع الذى أمامها .
ونظرا لما رآه والدها فيها من عدل وحسن إدارة مما تستحق عليه



٢٣ — الملك نحوتمس الأول يقدم ابنته الملكة حتشبسوت

(من الدير البحري)

الى عطاء الشعب

الملك خاطبها قائلاً : " تعال ياذات الجلالة - يامن أشركتك في
حكى - لتأخذى المكان السامى اللائق بك - ولتتقدي مكان
النبال - انك عظيمة - قوية فى قوتك يامن لك القوة فوق
الأرضين ويامن تضرب العصاة بأيد قوية ، يامن ولدت لتكونى
وارثتى يا ابنة التاج "

ثم ينظر الملك لجميع المجتمعين من عطاء البلاد وهم ساجدون
على الأرض ويخاطبهم بقوله : " هذه ابنتى حتشبسوت ، انى
عينها بدلا منى ، انها وريثتى ، انها هى التى تجلس على عرشى ،

وانها تصدر الأوامر لجميع الناس ، وستقود الجميع ، وعلى الناس طاعة أوامرها ، فمن شكرها فله الحياة ، ومن عصاها وسب جلالها سيعدم

وقد قبل هذا النطق الملكي بحماسة وإخلاص ، وقبل الجميع الأرض تحت قدمي الملك وخرجوا مهللين ورقصوا وامتلأ القصر بالفرح في حين كان الشعب والجنود مزدحمين منادين باسم الملكة بأصوات عالية قائلين : "لئن كانت الملكة مازالت صغيرة السن فإن الآلهة العظام مالت قلوبهم إليها ، وعرفوها بأنها ابنة الآلهة ، فكل من يحبها في قلبه ويمدحها كل يوم له السعادة ، وأما من يفعل دون ذلك ، فإن الآلهة تهلكه حالا ، ان الآلهة هم الذين يحمونها"

ولما سمع والدها حب الرعية لابنته ومناداتهم بها ملكة عليهم مع صغر سنها فرح قلبه واستعد لإقامة حفلة التتويج وحدد لها يوم أول السنة الجديدة الذي يعتبر يوم رضاء وآتى اليوم العظيم في حياة حتشبسوت وهو "اليوم الأول من فصل الفيضان" في السنة ، يوم تتويج ملك (ملكة) مصر العليا والسفلى ، يوم اتحاد الأرضين

ويظهر أن حفلات التتويج التي صورت حسب ترتيبها على الحائط البحري لحدى قاعات معبد الدير البحري، قد أقيمت في القصر وكانت أول حفلة لتطهير فرعون من الشوائب الدنيوية قبل وضع التيجان على رأسها (وهذا ما كان يعده المصريون بمثابة تجسد الآلهة في الملك ورعايتهم له وبذلك يكسب فرعون صفة كهنوتية) فيتقدم كاهن ويقود حتشبسوت الى أحد الهياكل رمز مصر العليا (الوجه القبلي) وفي هذا الهيكل يتقدم كاهن آخر على هيئة إله الغرب ويرش الماء المقدس على الملكة لتطهيرها وليهبها الحياة والحظ السعيد ، والصحة والسرور ، ليكون في قدرتها إقامة الأعياد لإله الشمس . وبعد التطهير يتقدم كاهن آخر يمثل الإله حوريس (على هيئة الصقر) ويقود حتشبسوت الى غرفة أخرى رمز مصر العليا (الوجه القبلي) حيث يقوم بمساعدة كاهن آخر يمثل الإله ست (وهما يمثلان رمز مصر العليا والسفلى) ويضعان التاج الأبيض على رأس الملكة وهنا تخرج حتشبسوت من الهيكل يتقدمها أربعة من الكهنة يحملون أعلاما مقدسة ، وتظهر أمام الشعب المجتمع خارج

القصر ، ثم تدخل الهيكل الذى لبست فيه التاج الأبيض كى
يوضع على رأسها التاج الأحمر . ثم تخرج الى الهيكل يتقدمها اثنان
من حملة الأعلام وتمر أمام القصر ، ثم يطلق أربعة من الطير فى
رقابها خطابات لتحمل هذه الأخبار الى أنحاء السماء الأربع

وبذلك تنهى حفلات التتويج وكانت تتلى فى أثنائها تعاويذ
بعضها فى قالب محاورة بين الملك ورئيس الكهنة يفهم منها أن
رئيس الكهنة كان يلحق الملك واجباته كإبن لإله الشمس ، وأنه
هو الممثل له على الأرض ، وقد خلد لنا (نجيدس فيجلوس) أحد
الكتاب اللاتين نبذة من هذه المحاورات

ولابد أن يكون أبوها تحوتمس الاول قد شعر بان جعله
حتشبسوت ملكة كان أمرا غير طبيعى إذ أنه قبل وفاته زوجها
من ابنه وهو أخوها تحوتمس الثانى الذى ارتقى العرش عند ما توفى
الملك المريض ولا بد ان يكون عمله هذا توطيدا لمركزها
وترى الملكة حتشبسوت ممثلة على الآثار الاولى لهذا
الحكم المشترك على هيئة ملكة مصرية تعاون الملك فى القيام

بالشؤون الدينية وقد اتخذت لها صفة الكاهنة الأولى ، وبذلك لم يكن لها في الظاهر الشأن الاول . ولم يطل العهد على ذلك كما يتضح من نقوش المعابد ، اذ أنه لم يمض وقت طويل حتى مثلت الملكة مساوية لزوجها وأخيها . وعند وفاته في سن الثلاثين (لأنه كان ضعيفا جسما وعقلا) أصبحت حتشبسوت صاحبة الحق الشرعى ، وكان سنها إذ ذاك حوالى السابعة والثلاثين ، ولم يكن هناك من ينازعها في حقها الا أخوها تحوتمس الثالث وكان من زوجة أخرى ليست من الدم الملكى فتزوجته وأشركته معها في الحكم

ولا بد أن تكون حتشبسوت ذات مواهب عظيمة وأخلاق سامية اذ أنه من غرائب الأمور أن تظل امرأة على رأس دولة حربية مدة ثلاثين سنة

وقد طمعت نفس تحوتمس الثالث عند ما بلغ سن الرجولة لاظهار كفاءته الحربية في السنوات الأخيرة لحكم حتشبسوت ، ومع أنه اثبت عظم شأنه في هذه الناحية الا انه لم يستطع ان يجارى اخته التي لم تكن في الغالب تسمح له بحرية العمل ولم تظهر

كفائه الا بعد وفاتها اذ شن الحرب سبع عشرة مرة على سوريا
وكان النصر فيها حليفه ، ويظهر انه كان غير راض عن منصبه
الصغير فى الحكومة لأنه كان ميالا الى الحرب ولكنه كان
محروما من نيل بغيته ولم تسمح له أخته الا بأن يقوم ببعض
الوظائف التافهة

وكان عصرها عصر سلام وقد أوقفت حياتها على إسعاد
امبراطوريتها فقامت بارسال البعثات التجارية وترميم المعابد التى
خربها الغزاة من الهكسوس وإقامة المعابد الفخمة

ومن اعظم اعمال حثبستوت ذلك الاسطول التجارى الذى
أرسلته الى بلاد پونت التى نعلم انها كانت واقعة جنوبى البحر
الأحمر فى المنطقة التى تسمى الآن بلاد الصومال . والنقوش التى
بالدير البحرى تخبرنا " بأن الملكة كانت يوما تتضرع امام تمثال
الإله آمون واذا بوحى يوحى اليها منه ، بأن تفتح الطريق الى
بلاد پونت وأن ترسل بعثة بطريق البر والبحر الى بلاد أشجار
البخور ولاحضار الغرائب من هذه البلاد "

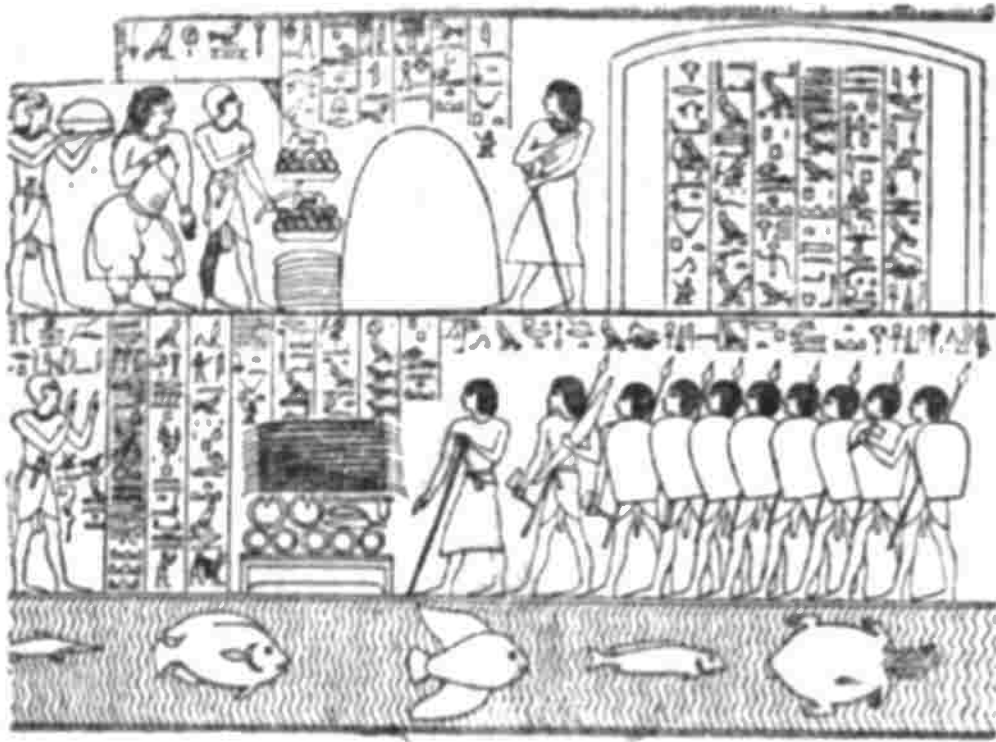
وتلبية لهذا الوحي المقدس جهزت أسطولاً مكوناً من
خمس سفن كبيرة اجتاز النيل جنوباً من مدينة الأقصر ثم مر بقناة
(فرض أنها كانت تجري في وادي الطاميلات وكانت تصل النيل
بالبحر الأحمر) حتى وصل إلى بلاد بونت حيث قوبل المصريون
بكل ترحيب من " بريهو " ملك تلك البلاد وزوجته " آتى "



٢٤ - بريهو ملك بونت وزوجته آتى (من الدير البحرى)

وأما سكان هذه البلاد فهم أفريقيون قريبو الشبه من
المصريين . و نرى فى النقوش " بريهو " ملك بونت واقفاً لابساً فى
رجله اليمنى من المفصل الى الركبة حلقات من العاج أو المعدن

النفيس واما زوجته الواقفه خلفه فكان شكلها غير عادى ويظهر
انها كانت مصابة بمرض داء الفيل المنتشر بين سكان افريقيا. ولما
تبادل الفريقان التحية بدأ الفريق المصرى البحث عن وسائل
راحتة وعن الاشياء التى حضر من أجلها فترى خيمة مضرورية

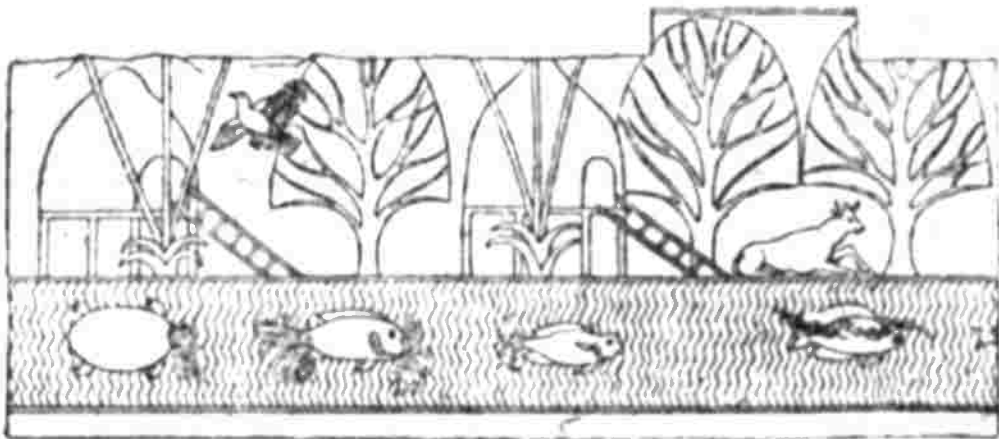


٢٥ — الرسول المصرى ومعه الجيش الذى رافقه الى بلاد بونت
(من الدبر البحري)

لرسول الملك ولجنوده بين أشجار البخور على شاطئ المحيط
الأخضر لمقابلة رؤساء القبائل هناك حيث قدم لهم رسول الملكة

حشيشوت الخبز والجمعة والنبيد واللحم والفواكه وغير ذلك مما
أحضره من مصر حسب أمر الملكة. ثم نرى في نقوش أخرى
الرسول المصري واقفاً أمام خيمته، يقابل الصوماليين الذين
يحملون منتجات بلادهم لبيادلوها بها المصنوعات المصرية من عقود
خرزية وبلط وخناجر وغيرها من الأشياء المغرية

وفي نقوش أخرى نجد منظر القرية من قرايم، وهي عبارة
عن أخصاص من الخشب مستديرة على شكل أكوام وكانت
تبنى مرتفعة عن الأرض، ويمكن الوصول إليها بسلم خشبي
حفظاً لساكنيها من ضرر النمل الأبيض الذي يكثُر في هذه
البلاد



٢٦ — منظر لباحية من قرى بلاد بونت
من الدير البحري

وقد ملكت البلط والخرز وأدوات الزينة الأخرى مشاعر
الصوماليين البسطاء وجد المصريون في تحميل مراكبهم بخيرات
بلاد الصومال . فترى الجمالين ينقلون الخشب العطري ، وأشجار
البخور الحية ، والعاج والآبنوس والذهب وأشجار الكمون ،
والبخور وكحل العين ، والنسانيس والقرودة والكلاب وجلد الفهد
وكان بين هذه البضاعة عدد من الأهالي أنفسهم ومعهم أطفالهم
ثم عاد الأسطول الى مدينة الاقصر (طيبة) دون أن يلحق به سوء

وقد عرضت جميع الخيرات مع الصوماليين على أهالي
العاصمة الذين دهشوا لها ثم قدمت الملكة حتشبسوت كل هذا
الى الآله آمون الذى أوحى بهذه البعثة وغرست اشجار
البخور التى استحضرت فى معبد آمون بالدير البحرى ، وقد بنى
هذا المعبد على شكل مدرجات حيث تقول حتشبسوت
”انها جعلت لآمون بلاد پونت فى حديقته على الشكل الذى أوحى
به اليها وجعلتها من السعة ما يستطيع معه الآله التنزه فيها

ومع أن عهد حتشبسوت كان عصرا ذهبيا إلا أنه أدى الى ضعف مركز مصر الحربى فى سوريا وفلسطين لأن الملكة ووزاءها خصصوا أنفسهم لأعمال البناء والأعمال السامية والتجارية وباتت أملاك مصر فى آسيا فى خطر حتى توفيت حتشبسوت وتهيأت الفرصة لتحتس الثالث لى يظهر مواهبه الحربية التى طالما تأقت نفسه لإظهارها أيام ان كان خاضعا للملكة

بتاح حنب الوزير المصرى

يحدثنا

عن تجاربه فى الحياة

منذ ٥٥٠ عام أو أكثر قليلا، أيام الملك الشاب "إسسى" أحد ملوك الأسرة الخامسة وفى مدينة منف تلك المدينة الخالدة التى كانت عروس مصر وعاصمتها فى عهد الدولة القديمة حيث ازدهرت المدنية والعلوم وارتقى الفن . عاش الحكيم "بتاح حنب" (أى الرجل المختار لبتاح إله منف) الذى كان وزيرا وقاضيا ومستشارا للملك

وكان جو مصر المعتدل وسماؤها الصافية وحبه للرياضة ونشاطه ، مما أفسح له فى العمر فعاش طويلا ، واكتسب معرفة وخبرة بالحياة ، وكان عالما مطلعا على ما فاه به أسلافه من الحكم ولما آنس فيه جلالة الملك "إسسى" تلك الكفاءة ، أمره بأن يضع كتابا يجمع فيه بعض النصائح والحكم ، يوجهها للشباب لتقويم أخلاقهم ودعوتهم الى الفضيلة وعمل الخير

ففكر في الأمر وأخيرا كتب لجلالة الملك الخطاب الآتي
 (وهناك ترجمته نقلا عن الهيراطيقية مع بعض التصرف البسيط):
 "تعاليم حاكم المدينة، الوزير بتاح حتب، تحت حكم جلالة
 ملك مصر العليا والسفلى إيسى، فليعيش أبديا

مولاي الملك

أقبل الكبر، وتقدمت في السن، وحل الوهن محل الشباب،
 أشعر بضعف يتزايد على يوما بعد يوم، أشعر بضعف الطفولة،
 لقد ضعف بصري، لا أسمع جيدا، في لا ينطق كثيرا، قلبي
 تعب، ضعفت حاسة الذوق، ونحوات السعادة الى شقاء"
 ثم رجا جلالة الملك في نهاية خطابه السماح له باعتزال الخدمة
 كي يتفرغ لعمل الكتاب الذي طلبه منه

واعتزل الحياة العامة الى العيش الخاص في منزل نخم،
 فقرأه وقد جلس في إحدى شرفاته يتمتع جسمه بحرارة الشمس
 الهادئة، ويشرف على حديقته المنسقة الجميلة الملاي بالأزهار
 والفواكه، مراقبا خدمه الذين يقومون بأعمالهم، وهو بين ذلك
 يدون كتابه

وكانت عادة المصريين القدماء أن يعد الواحد منهم مقبرته أثناء حياته لا اعتقادهم بأنها دار الأبدية (مما سنوضحه في معتقداتهم بعد الموت)

فهناك في سقارة (جبانة مدينة منف) وقريبا من هرم مولاه ابتداء بتاح حتب في تشييد مقبرته التي تعد الآن من أجمل مقابر قدماء المصريين إذ أن جدرانها مغطاة بالمناظر المدهشة الملونة تلوينا بديعا يملك على الإنسان نفسه ، وعلى الجدار الشرقى لهيكل تلك المقبرة البديعة نرى مجموعة كبيرة من ألعاب الأطفال المختلفة مما لا نجد له مثيلا في مقابر أخرى

ومما يؤيد أقوالنا بأن هذه المقبرة هي لبتاح حتب نفسه ، نظرا لتضارب آراء العلماء فيها ، أن الأستاذ كابر (Jean Capart) العالم الأثري البلجيكي الكبير أشار إليها في كتابه (Memphis : A l'Ombre des Pyramides) في الباب الثالث عشر صفحة ٢٣٧ بما يأتي : " من بين من نالوا شهرة أدبية كبيرة في الدولة القديمة كاجنى وبتاح حتب "

فالأول كان وزيراً للملك "تتي" أحد ملوك الأسرة السادسة
ومذبته تعد من أشهر المقابر بسقارة

وأما الثانى (وهو الذى يهمنى) فهو "بتاح حتب" الذى تمتع
بشهرة أكبر من الأول وما زالت مقبرته الجميلة قائمة فى جبانة
سقارة

وبعد أن كتب "بتاح حتب" خلاصة تجاربه فى الحياة
رتبها فى قالب نصائح موجهة إلى ابنه

وهاك مقتطفات من تلك الحكم الثمينة نقلا عن النص
الميراطيقى أيضا :

التحذير من النساء

"إذا أردت أن تحتفظ بالصدقة لأهل أى منزل تزوره ، فلا
تقترب من نساءه ، فالآلاف من الرجال ذهبوا ضحية تلك المخلوقات
اللطيفة ، وكان الهلاك عاقبة لذة لحظة قصيرة تمر كحلم ."
(معناه أن لا ينظر الإنسان إلى نساء الغير)

الزواج

”كون لنفسك منزلاً ، وأحب زوجتك ، واجلب لها الطعام والملابس ، وقدم لها العطر فانه دواء لها ، وسر قلبها مدة حياتك ، إن المرأة حقل نافع لزوجها اذا أحسن معاملتها“

الولد المطيع (كن مطيعاً)

”الولد المطيع يكون تابعا لحوريس (الملك) ويصل بطاعته الى مرتبة ”إيماخو“ (أى المحترمين) ، ويحمل الى الناس رسالة والده“

احترام الرؤساء

”أحن ظهرك احتراماً لرئيسك لأنك ستكون محبوباً لدى القصر الملكى ، ويكون لك مركز ممتاز ، ما أقبح من يعارض الرئيس“

التحذير من الخمر

”لا تذهب الى ”بيت البيرة“ (الحانة) ، فانه لا تسرك الكلمات التى تخرج من فمك دون أن تعى ، واذا سقطت على الأرض من

كثرة احتساء الجمعة ربما تهشمت عظامك ولا تجد من يساعدك
على النهوض “

بعض نصائح أخرى

“ لا تكبر أمامك “

“ استمع للجاهل والمثقف ، اذ لا يستطيع انسان ما أن
يصل الى حدود العلم ولم يصل اليها انسان بعد ، فإنه من الصعب
أحياناً الحصول على كلمات أئمن من الحجارة الكريمة فتستطيع
الحصول عليها من بعض الجاهلة “

“ لا تجعل الناس تخافك فتكون النتيجة كراهيتهم لك “
الكلام من فضة والسكوت من ذهب “

“ اذا كنت صغير المركز في خدمة رجل عظيم فاحترمه اما
هو فيه ، ولا تفكر في ماضيه فإن الله هو الذي رفعه اليه “
“ ما قدر الله يكون “

“ العدل عظيم “

“ إذا حل الموت اختطف الطفل من ثدى أمه كما يختطف
الرجل الكبير “

وقد جمعت تلك الحكم الغالية في أوراق البردى وتداولها
المعلمون والتلاميذ في أيام الدولة المتوسطة والدولة الحديثة
إذ كانوا يحفظونها عن ظهر قلب
ومنذ أن جلس "بتاح حتب" في شرفة منزله بمدينة منف
الكتابة تلك الحكم فإنها ما زالت في متناول أيدينا حتى اليوم ويتضح
لنا منها أنه لم يطرأ أى تغيير على العقل البشرى

معتقدات قدماء المصريين بعد الموت

كان لقدماء المصريين عقيدة خاصة في خلق العالم والآلهة فاعتقدوا بخلود الانسان بعد الموت وأن الانسان اذا انتهت أيامه ينتقل الى عالم آخر لا يختلف عن هذه الدنيا الا أنه مجرد من الشرور والآثام

وسارت بينهم أساطير طريفة لتمثيل هذه العقيدة وقد حوت هذه الأساطير من التعاليم الرادعة ما وجههم الى الخير والإحسان

فاعتقدوا أن هنالك حياة أخرى تنتظر الانسان في عالم الموتى في الغرب حيث يهبط المعبود رع (إله الشمس) كل يوم ولذا لقبوا الموتى " بالغريين " وشيدوا مقابرهم في الجهة الغربية واعتقد البعض الآخر أن الأموات تتحول طيوراً وتعلو في الجو حتى تبلغ رع إله الشمس وتعيش مع أتباعه كنجوم أزلية وأن الانسان قد يتشكل بعد الموت بهيئة صقر أو عصفور أو تمساح أو ثعبان أو يظهر على شكل زهرة لوتس على وجه الماء

وتخيلوا في الجهة الشمالية الشرقية من السماء حقولا يانعة
كثيرة الخيرات أطلقوا عليها اسم حقول "يارو" ينمو فيها الشعير
والقمح إلى ارتفاع سبعة أذرع ويسود فيها الرخاء والطمانينة
والسلام وينال الانسان فيها ما يشتهي من خبز وجمعة وملبس
بدون عناء

وكانت العقيدة في الحياة الأخرى أكبر حافز لقداماء
المصريين للاهتمام بالشعار الدينية والمحافظة على طهارة الذمة والشرف
والأعمال الصالحة في هذه الدنيا وأثبتوا ذلك في نقوش المقابر فذكر
أحد أفراد الأسرة الخامسة مامعناه "لقد شيدت مقبرتي هذه بغاية
العدل والحق فلا شيء فيها يستحقه غيري . . ولم أوذ أي انسان."
وكتب آخر في مقبرته ما ترجمته "أنا لم أعاقب قط في حياتي أمام
رجال الحكومة ، ولم أسرق شيئا من غيري بل فعلت كل ما يرضى
الناس . " وتغنى أحداً كبير الناس من الأسرة الخامسة بما فعله من
خيرات فأثبت في مقبرته "كنت أقدم الخبز لفقراء اقليمي . . .
وأكسو عراته ولم أوذ احدا طمعا في املاكه حتى اشتكاني الى
معبود بلده ، ولم أسمح لضعيف أن يخشي بأس قوتي فيتظلم
للآلهة "

وكان يعتقد المصريون ان الانسان مكون من عدة اشياء منها:
 الجسد والروح والقرين فتخرج الروح من الجسد عند الموت بهيئة
 طائر ذى وجه يشبه وجه المتوفى ، أما القرين فكان عبارة عن
 الانسان ذاته يعيش معه على الأرض أثناء حياته كظال يشبه البخار
 ويمده " بالحفظ والعقل والصحة والفرح " وكان يرسم على شكل
 ذراعين مرفوعين الى السماء

واعتقدوا أن القرين يحل محل صاحبه بعد موته ويتمتع بكل
 ما كان يحظى به المتوفى في الحياة الدنيا وقد دعاهم هذا الى تشييد
 مقابر متينة البنيان أطلقوا عليها اسم " البيت الأبدى " تضمن
 للجسد البقاء سليما

وكانت تبنى هذه المقابر فى أول الأمر على هيئة مصطبة
 صماء كمصاطب الفلاحين تحوى بابا وهميا متجها الى الشرق يدخل
 منه القرين لزيارة المتوفى فى مأواه الغربى ثم تطورت الحال تبعا
 للعقيدة الدينية وأضافوا هيكلا صغيرا فى المصطبة نفسها وزادوا
 عليه غرفا للصلاة وتقديم القرابين وحرق البخور أمام تمثال المتوفى

الذى تخيلوا أن القرين يحل به ، ونقشوا على جدران المقبرة مناظر
تمثل خدم صاحب القبر وهم يحرقون ويبذرون ويحصدون ويرعون
الاعنام والماشية ويذبحونها ليقدموها الى مائدة سيدهم ، ومثلوا
مناظر الطير والحقول والصناعات والعمال الذين يشتغلون فيها ،
وحفلات الصيد والسرور — يقصدون من ذلك كله أن يصوروا
صاحب القبر مشرفا على عماله ، متفقدا أشغالهم ، كما كان يعمل في
الدنيا قبل " رحيله للغرب " وكتبوا على عوارض الباب الوهمي
دعاء يتلوه الكاهن في الأعياد ومواسم الزيارة وكذا كل من
زار المقبرة استدراجاً للرحمة للمتوفى وعادة يبدأ هذا الدعاء
بما معناه " هبه ملكية الى فلان " لما كان الملوك يحبون به المقربين
اليهم بمعاونتهم في تشييد مقابرهم كما جاء في نقوش هذه المقابر من
أن الملك قدم لاحد من بابا وهميا لمقبرته أو أهدها تابوتا من المحاجر
الملكية

وهناك صيغة كاملة للصلاة المدونة على جوانب الابواب
الوهمية " هبه ملكية ، وهبة من الإله أنويس الجاثم فوق جبله
وهذه الهبة عبارة عن دفنة طيبة في المقبرة الغربية والى قطعمة

من الملابس وألف رأس من الثيران ، وألف رأس من الطيور وألف
 اناء من الجعة لقرين المحترم المرحوم فلان . ” وبذلوا عناية فائقة
 لتحنيط الموتى حتى لا تتحلل أجسادهم وتبقى أبد الدهر فلا يضل
 عنها القرين ، وحفروا بئرا في المقبرة تؤدي الى ممرات واصلة
 الى غرفة الدفن التي يحفظ بها الجسد حرصا عليه

وكانت هذه المقابر في اعتقادهم منازل القرين وكذلك الروح
 فكانت تحضر لزيارة المتوفى من العالم الآخر أو لتستريح على
 الأشجار أو لتسوح حول مصر

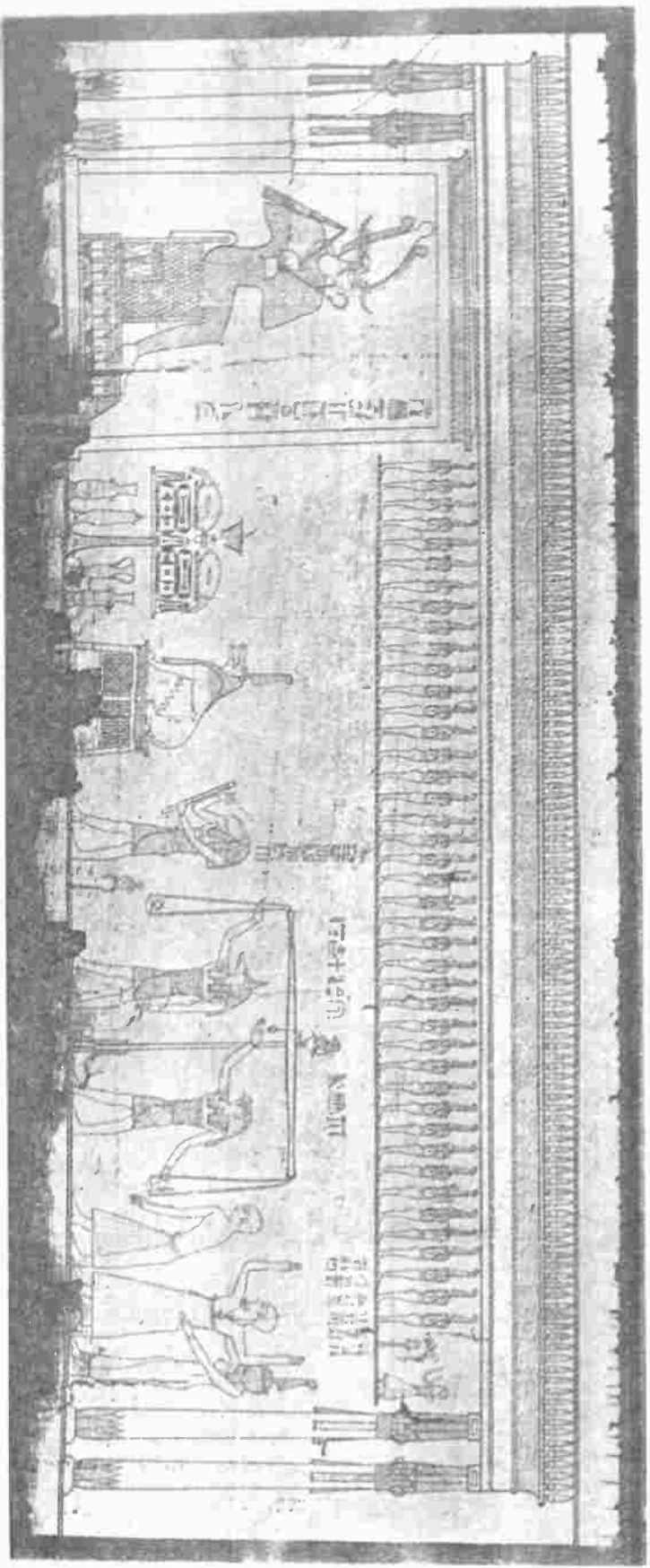


٢٧ - الروح على شكل طائر له وجه الانسان تزور
 جثة المتوفى المخططة

وقد كان لاعتقاد قدماء المصريين فى الحساب بعد الموت
أكبر الأثر فى ردع النفوس عن ارتكاب الشر فترى فى نقوشهم
ما يسمونه "ساحة العدل" يدخل من بابها المتوفى مصحوباً بزوجته
رافعا يديه بالدعاء الآتى للإله أوزير (إله الموتى) قائلا: "أنا
ظاهر أنا طاهر وأرجو أن لا يمسنى شر فى ساحة العدل" وبعد
ذلك يتقدم الإله انويس (إله الجبابة) ويقود المتوفى أمام الإله
الحاكم الجالس على عرش داخل ناووس ويحوطه اثنان وأربعون
قاضيا، ثم يقول المتوفى "السلام عليكم يا سيد الغرب، أنى حاضر
إليك بدون ذنب على، وما كنت اتكلم السوء ولم اخادع فامنحنى
سكنا طيبا فى حقول يارو" ويتبرأ أمام الآلهة من الخطايا فيقول
"لم أفعل شرا للناس، لم اكذب، لم أسبب مجاعة، لم أسبب بكاء
أحد، لم أقتل أحدا ولم أقلل من القرايين التى تقدم للمعابد، لم
أسرق طعام الموتى، لم أخطف اللبن من فم الأطفال، لم أكن
كسولا، لم استرق السمع، لم أزن قط، لم أكن حادا فى كلامى،
ولم أكن أتدخل الا فى أعمالى الخاصة" ثم يتقدم المتوفى بعد ذلك
أمام الميزان المنصوب وسط ساحة العدل ويوضع قلبه فى إحدى

كفتى الميزان وتوضع ريشة العدل فى الكفة المقابلة ؛ وأثناء عملية الوزن يخاطب المتوفى قلبه قائلا " ياقلبي الذى ورثته عن أمى ؛ ياقلبي الذى كنت معى وأنا طفل وأنا شاب وأنا رجل على الأرض ، لا تشهد على ولا تكن خصمى أمام الإله " ويقف أمام الميزان الإله "تحتوى" (إله العلم) ليدون نتيجة الميزان فان خفت موازينه كان من البررة الأظهار ودخل مملكة أزريس بل أصبح المتوفى أزريس نفسه ، ويعاد اليه قلبه الذى يعتبر رمز الحياة ويتمتع بالمأكل والمشرب والملابس وبذلك يضمن لنفسه السعادة أما اذا ثقلت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه ويتسلمه من الزبانية حيوان عجيب نصفه الأسفل بهيئة عجل وبحر ووجهه وجه تمساح فانغرافه فيقتال المتوفى الآم وعلى ذلك يعدم الحياة وهذا ما كانوا يخافونه

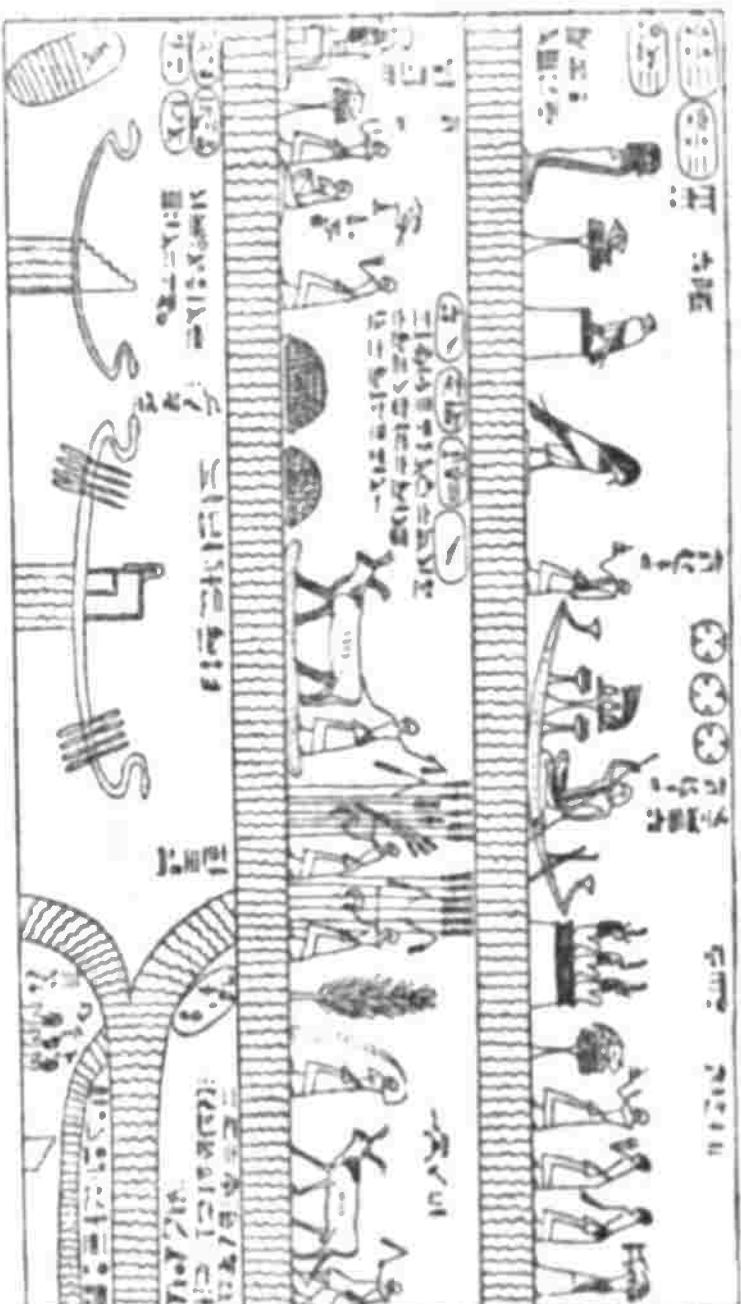
واعتقدوا ايضا ان الحياة الأخرى التى يعيشون فيها بعد الموت عبارة عن حقول زراعية جميلة ينمو فيها القمح والأشياء الطيبة وتجرى فيها الأنهار حيث تروى الأرض بدون الشادوف واطلقوا عليها اسم " يارو " واتجهت افكارهم الى ان يكون لكل



٢٨ - وزن الروح (Psychostasia) : (١) المتوفى في ساحة العدل رافعا يديه ومصطحوا بالهامة العدل ، (٢) المتوفى أمام الميزان ، (٣) الآله حوريس (العقور) و(٤) أنوبيس (ابن آوى) يتولىان حماية الوزن بأن يوضع قلب المتوفى في كفة الميزان بينما تقابله في الكفة الأخرى الآلهة ماعت على رأسها ريشه هي رمز العدل ، (٥) الآله تحوتى (كاتب الآلهة) يدون النتيجة ، (٦) حيوان غريب يمثل المتوفى الأثم ، (٧) مائدة قرابين ، (٨) الآله أوزيريس (اله الموتى) جالسا في عرشه ، (٩) حول الصلاة اثنان وأربعون قاضيا (الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى) (عن ورقة بردى بالمتحف المصرى)

فرد نصيب الحياة فيها فعندما يصل الميت الى هذه الحقول ،
لا يكون مضطرا للاشتغال بالحرث والحصاد بل يقنع بالأكل
والشرب والنوم والجلوس فى ظل الأشجار ويتمتع بريح
الشمال المنعش ويشرف على زراعة الأرض بواسطة خدم يرمز
لهم بعدد من التماثيل الصغيرة يطلق عليها اسم "شوابتى" وكانت
توضع مع المتوفى فى المقبرة لهذا الغرض ،وقد وجد عدد كبير من
هذه التماثيل وفى أيديها الأدوات الزراعية لتكون رهن
إشارته فعندما يناديها للعمل فى هذه الحقول ترد عليه قائلة : "نحن
هنا فى أى مكان تناديننا منه"

واعتقدوا أيضا أن هناك جزيرة تسمى " جزيرة السعادة "
تشقها قنوات المياه وتصوروا أن القناة الثالثة من هذه الجزيرة
طولها غير محدود وليس بها سمك ولا ثعابين وتخلوا أن هذه
الجزيرة كانت تقع بين مستنقعات الدلتا التى عمت الوجه البحرى
وكانت تحوى عددا كبيرا من الطيور . والوصول الى هذه الجزيرة
كان على المتوفى أن يعبر الصحراء ويتضح من بعض النقوش



٢٩ - حقول يارو (الجنة)

- ١ - المتوفى يتعبد للآلهة ويركب قارباً ويحرق البخور للروح
- ٢ - المتوفى يبذر القمح ويحصد ويلبسه ويتعبد لآله النيل
- ٣ - قوارب زرع السحرية التي تتحرك من نفسها ومكان سكن الآلهة

بالمقابر أنه كان يركب قارباً حتى يصل الى أحد أقسام هذه الجزيرة
ويطلق عليه اسم "سخت حتبو" أى حقل السلام

وكانوا يعتقدون أن الحياة الأخرى جنة يحوطها المحيط
الأخضر الكبير أى البحر الأبيض المتوسط كما كانوا يسمونه .
وفى متحف ليننجراد ورقة بردى تحتوى على قصة تخبرنا بأن
الروح كانت تذهب جنوباً بالنيل حتى منبعه وهناك تصل الى
البحر الغامض حيث تجد هذه الجزيرة المخصصة للقرين ومن
يضل عنها لا يجدها أبداً ولا يجد سوى الأمواج
من كل ذلك نعلم أنهم صوروا الحياة الأخرى على شكل
جنة أرضية وعلى شكل مملكة بعيدة عن مدى بصر الانسان

ولو صول المتوفى الى هذا الفردوس كان عليه أن يتخطى
كثيراً من الصعاب والعقبات ،وكى لا يضل الطريق كتب الكهنة
نصوصاً دينية وهى ما نسميها الآن "كتاب الموتى" ووضعوها
بين لفائف وأربطة الجثة لتكون دليلاً للميت ، وقسموها الى
أقسام يتلوها الميت كلما اعترضته ضائقة

فثلاً اعتقدوا أنه يعبر صحراء مخيفة بين هذه الدنيا وبين العالم الآخر فاذا لم يقرأ النص الخاص بها مات عطشا. كما اعتقدوا أنه يمر بين بوابات مغالقة تحرسها عفاريت متحفزة لاثامهم فقراءة النص الخاص بها تفتح له هذه البوابات فيمر بسلام

وقبل أن يصل المتوفى الى بيت أوزيريس (إله الموتى) بمحذائق " يارو " يقابل سبع بوابات يدخلها بابا بعد باب فكان على المتوفى أن يحفظ أسماء حراس هذه البوابات والآلهة الموجودة عندها وعند كل بوابة تدور محاوراة بين المتوفى والإله الموكل بها: فيسأل الإله: " في أى ماء تطهر المتوفى ، وبأى نوع من العطور تعطر ، وأى نوع من الملابس يرتديه ، وأى عصاة يحملها ؟ " ويحجب المتوفى قائلا : " أنا أعرفك . وأعرف اسمك " فيرد عليه الإله : " مر فأنت طاهر "

ولما كان المتوفى أن يتشكل بأى شكل يريد فقد يتحول الى سمكة أو طائر ، كان يكتب له تعويذة تحوى أسماء غامضة يتلوها حتى تسهل له النجاة إذا وقع في شباك الصيادين

وكان المتوفى يحفظ قائمة أسماء الآلهة عن ظهر قلب ويتلوها
مما يجعله ذا قوة ممتازة

وكانوا يعتقدون أن للمتوفى أعداء من الشعابين والتمساح
والسكين التي فرض أن رأسه تقطع بها، كما أن التعفن الذي يحصل
للجثة كان يعد من هذه الأعداء، وهناك مجموعة من الصور ترينا
طريقة ذبح هذه الأعداء وقد أعدوا نصوصا خاصة للتغلب عليها
واعتقدوا أيضا بأنه اذا توسل المتوفى الى الآلهة تحوتى (إله

العلم والحكمة) فإنه ينصره على جميع الأعداء الذين يقابلهم
ولما كانوا يتخيلون أن إله الشمس يعبر السماء في مركب من
الشرق الى الغرب اعتقدوا أن المتوفى السعيد هو الذى يسمح له
بمرافقته في هذه المركب، لهذا كان المتوفى يدعو بالادعاء الآتى :
”دع جسمى يجدد بالتفكير فى مجدك مثل جميع خدمك لآتى من
بين الذين مجدوك على الأرض، دعنى أصل الى أرض الأبدية
لأنك عينتها الى“

واعتقدوا أن المتوفى كان يعيش فى مملكة تسمى ”دوات“
(Dwat) حيث تسكن الآلهة الذين يسافرون مع الموتى

السعداء ، وقد جاء في نصوص كتاب الموتى أن الأتقياء يعيشون في الشاطئ الأيمن من هذه المملكة فإذا ما أشرق عليهم رع (إله الشمس) في رحلته هناك أثناء الليل جلب إليهم النور والهواء والغذاء ، أما الجانب الأيسر فيقيم به الأشرقياء والتعساء وأعداء مصر



٣٠ — الآله رع يعبر منطقة دوات (Dwat) في مركبه وهو داخل ناووس مكون من الصل « محن » (Mehen) مصحوبا بالآلهة (عن كتاب البوابات)

واعتقدوا كذلك بحاجة المتوفى الشديدة للهواء والماء والطعام فدرى في أحد النقوش المتوفى على شكل طائر بوجه إنسان تحت شجرة الجميز لأنهم تخيلوا أن إلهة السماء "نوت" تسكن هذه الشجرة فيخاطبها المتوفى قائلا : "يا جيزة نوت

(إلهة السماء) اعطنى الهواء والماء الذى فىك "فتطل عليه سيدة من هذه الشجرة هى (نوت إلهة السماء) حاملة فى يدها اليسرى فاكهة وخبزا وفى يدها اليمنى ماء نصبه على المتوفى فيتناوله فى يديه ويروى ظمأه



٣١ - المتوفى على شكل طائر تحت شجرة الجيز حيث تطل عليه نوت إلهة السماء على شكل سيدة فتعده بالطعام والماء (عن كتاب الموتى)

ولا يفوتنا أن نذكر بهذه المناسبة تعلق قدماء المصريين واعتقادهم فى التمام (الأحجية) فكانوا يضعونها فى قبورهم وتحت منازلهم وفى معابدهم وكانوا يصنعونها من القيشانى والعاج والخشب والنحاس والذهب . وإذا وضعت فى القبر أمدت المتوفى

بالحياة والحفظ والأبدية والراحة في الحياة الأخرى والشباب
 المتجدد وساعدته على الصعود السماء "فمثلا كانوا عند التخنيط
 يجددون القاب بوضع تيممة (حجاب) على شكل جمل (جمران)
 مكان القاب ويكتبون عليه تعويذة سحرية حتى لا يكون عدوا
 للمتوفى عند الميزان يوم الحساب

وقد وضعوا باقات الأزهار على رؤوس الموتى وعلى رقابهم
 لا اعتقادهم أن المتوفى توج منتصرا على كل العقبات ، وكانت
 هناك حدائق خاصة لزراعة هذه الأزهار

وإذا ألقينا نظرة عامة على ما سلف من المعتقدات اتضح لنا
 أن غرضهم الوحيد أن يكون المتوفى متحدا مع الآلهة الكثيرة
 التي اعتقدوا بها وأن يعيش سعيدا في حقول الجنة " يارو "